عبدة بنت أحمد

* نسبها

هى عبدة بنت أحمد بن عطية العنسى

أخت أبى سليمان الدارانى ، فقد كان لعبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى أختان : عبدة وآمنة كانتا من العقل والدين بمحل عظيم .

كانت عبدة تسكن مع أخيها أبى سليمان قرية داريا وهى من قرى دمشق

وقيل :

ضيعة إلى جنب دمشق

وكان أبو سليمان الدارانى أحد أئمة العلماء العالمين

* قنطرة من قناطر جهنم

قال أبو سليمان الدارانى :

وصفت لأختى عبدة قنطرة من قناطر جهنم فأقامت يوما وليلة فى صيحة واحدة ما تسكت ثم انقطعت عنها بعد ، فكلما ذكرت لها صاحت

قلت :

ـ من أى شىء كان صياحها ؟

قيل :

ـ مثلت نفسها على القنطرة وهى تكفأ ـ كفأ الشىء : قلبه وركبه ـ بها

* حب الدنيا

تقول عبدة بنت أحمد :

قال أبو سليمان الدارانى :

obeikandl.com

كنت ببيت المقدس مع أصحاب فى المسجد فاذا أنا بجارية عليها درع من شعر ـ صوف ـ وخمار من صوف فاذا هى تقول :

إلهى وسيدى

ما أضيق الطريق من لم تكن دليله ، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه

فقلت :

ـ يا جارية : ما قطع الخلق عن الله عز وجل ؟

قالت الجارية :

حب الدنيا ، ألا إن لله عز وجل عبادا أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره ثم أنشدت :

تزود قرينا من فعالك إنمـــا قرين الفتى فى القبر ما كان يعمل

ألا ان الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثم يرحـــــل

* الحـــوراء

تقول عبدة بنت أحمد :

حدثنى أبو سليمان الدارانى فقال :

إن فى الجنة أنهارا على شاطئيها خيام فيهن الحور ، ينشئ الله خلق الحوراء إنشاء، فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام ، الواحدة منهن جالسة على كرسى من ذهب ميل فى ميل ، قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسى فيجىء أهل الجنة من قصورهم يتنزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاءوا ، ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن

وتساءل أبو سليمان الدارانى :

ـ كيف يكون فى الدنيا حال من يريد افتضاض الأبكار على شاطئ تلك الأنهار فى الجنة ؟

ويقول أبو سليمان الدارانى :

بينما أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فاذا بها ـ الحوراء ـ قد ركضتنى برجلها فقالت :

ـ حبيبى أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ولقى المحبون بعضهم بعضا، فما هذه الرقادة ؟

حبيبى وقرة عينى أترقد عيناك وأنا أتربى لك فى الخدور منذ كذا وكذا ؟

يقول أبو سليمان الدارانى :

فوثبت فزعا وقد عرقت حياء من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى يقول أحمد بن أبى الحوارى :

دخلت على أبى سليمان الدارانى فإذا هو يبكى فقلت له :

ـ ما لك ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ زجرت البارحة فى منامى

فتساءل أحمد بن أبى الحوارى :

ـ ما الذى زجرك ؟

قال أبو سليمان الدارانى :

بينما أنا نائم فى محرابى إذ وقفت على جارية تفوق الدنيا حسنا وبيدها ورقة وهى تقول :

ـ أتنام يا شيخ ؟

فقلت :

ـ من غلبت عينه نام

فقالت :

ـ كلا إن طالب الجنة لا ينام

ثم قالت :

ـ أتقرأ ؟

قلت :

ـ نعم

فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لهت بك لذة عن حسن عيش مع الخيرات فى غرف الجنان

تعيش مخلدا لا مـوت فيهـا وتنعم فى الجنان مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيـــرا من النوم التهجد فى القـرآن

* كن كوكبا

تقول عبدة :

قال أبو سليمان لتلميذه أحمد بن أبى الحوارى ذات يوم :

يا أحمد : كن كوكبا فإن لم تكن كوكبا فكن قمرا ، فإن لم تكن قمرا فكن شمسا

فقال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكواكب ، والشمس أضوأ من القمر .

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى

ـ يا أحمد : كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره ، فان لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار .

* إذا اغتممت منها زادك

شكا أحمد بن أبى الحوارى إلى أبى سليمان الدارانى الوسواس فقال :

ـ إنى أرى ذلك قد غمك يا أبا الحسن ، إن أردت أن ينقطع عنك فإن أحسست بها فافرح بها ، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك ، فإن ليس شىء أبغض إليه ـ الشيطان ـ من سرور المؤمن ، وإن اغتممت منها ـ الوسواس ـ زادت .

* ملك الدنيا فزهد فيها

تقول عبدة بنت أحمد :

تناظر أبو سليمان الدارانى وأبو صفوان فى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وأويس بن عامر القرنى ـ منسوب إلى قرن المنازل وهو جبل معروف وهو ميقات الإحرام لأهل نجد ـ فقال أبو سليمان الدارانى :

كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس

فتساءل أبو صفوان :

ـ لم ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ لأن عمر بن عبد العزيز ملك الدنيا فزهد فيها

فقال أبو صفوان :

ـ وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر

قال أبو سليمان الدارانى :

أتجعل من جرب كمن لا يجرب : إن من جرب الدنيا على يديه وإن لم يكن لها فى قلبه موضع لما حج أويس بن عامر القرنى دخل مدينة رسول الله ﷺ ، فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبى ﷺ . . فغشى عليه ، ولما أفاق قال :

ـ أخرجونى فليس بلادى بلدا محمد ﷺ فيه مدفون

* هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه ؟

يقول أبو الحسن :

دخلت على أبى سليمان وهو يبكى فقلت له :

ـ ما يبكيك ؟

فقال عبد الرحمن بن أحمد :

ـ يا أحمد : ولم لا أبكى ؟ وإذا جن الليل ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وقطرت فى محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه فنادى جبريل عليه السلام بعينى من تلذذ بكلامى فلم لا ينادى فيهم ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه ؟ أم كيف يجمل بى أن أعذب قوما إذا جهنم الليل يتملقونى ؟ فى حلفت إذا وردوا على القيامة لأكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم .

* من أدب الدعاء .

قال أحمد بن أبى الحوارى :

سمعت أبا سليمان الدارانى يقول :

كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدى من البرد وبقيت الأخرى ممدودة ، فغلبتنى عينى فهتف بى هاتف :

ـ يا أبا سليمان : قد وضعنا فى هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها .

يقول عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ فآليت لا أدعو إلا ويداى خارجتان

* لا ينفع الهالك نجاة المعصوم

تقول عبدة :

قال أبو سليمان الدارانى :

رد سبيل العجب بمعرفة النفس ، وتخلص إلى إجمام القلب ـ راحته ـ بقلة الخلطاء، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة ، والتمس وجوه الفكرة فى الخلوات ، وتحرز من إبليس بمخالفة هواك ، وتزين لله بالإخلاص والصدق فى الأعمال ، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة ، واستجلب زيادة النعم بالشكر ، واستدم النعم بخوف زوالها ، ولا عمل كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة كرد الغضب ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغار الدنيا ، ولا معرفة كمعرفة النفس ، ولا نعمة كالعافية من الذنوب ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة فى الدرجات ، ولا طاعة كأداء الفرائض ، ولا تقوى كاجتناب المحارم ، ولا عدم كعدم العقل ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة النفس ، ولا ذل كالطمع ، ومن لم يحسن رعاية أسرع به هواه إلى الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم ، ومرارة التقوى اليوم حلاوة فى ذلك اليوم ـ يوم القيامة ـ والهالك من هلك فى آخر سفره وقد قارب المنزل ، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد .

* لا حول ولا قوة إلا بالله

بات عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى ذات ليلة ، فلما انتصف الليل قام ليتهيأ للوضوء فلما أدخل يده فى الإناء بقى على حالته حتى تنفس الصبح ، وكان وقت إقامة صلاة الفجر ، فخشى أحمد بن أبى الحوارى أن تفوته الصلاة فقال:

ـ الصلاة يرحمك الله

فقال أبو سليمان الدارانى :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ثم قال لأبى الحسن :

ـ يا أحمد : أدخلت يدى فى الإناء فعارضنى معارض فى سرى ـ نفسى ـ هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك ؟ فبقيت متفكرا حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يفوتنى من الأنس بالله عز وجل .

* من أقوال عبدة بنت أحمد

* يقول أبو سليمان الدارانى :

سمعت أختى عبدة تقول :

الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة والرضا بفقره

* طوبى لمن

تقول عبدة :

قال أبو سليمان الدارانى :

طوبى لمن حذر سكرات الهوى ، وسورة الغضب ، الفرح بشىء من الدنيا فصبر على مرارة التقوى .

طوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر ، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع والكلب .

طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد ، واعتقد الخير للمعاد ، وجعل الدنيا مزرعة وتنوق فى البذر ليفرح غدا بالحصاد .

طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها فيبرز من حظرات الدنيا وأهلها منه على بال ، واضطربت عليه الأحوال .

من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها ، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزى شديد ، ومقامع من حديد ، وشراب من صديد.

وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ، ونعيم الأبد ، فى ظل ممدود ، وماء مسكوب ، وأنهار تجرى بغير أخدود .

وكيف يكون حكيما من هو لها يهوى ـ الدنيا ـ ركون ؟ وكيف يكون راهبا من يذكر ما أسلفت يداه ولا يذوب ، الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة ، وعقوبة لأهل الولاية .

والفكر فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب ، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها ، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب فى قلبه حبها ، ومن تمت معرفته اجتمع همه فى أمر الله وكان أمر الله شغله .

* من أقوال أبى سليمان الدارانى

تقول عبدة :

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى يقول :

* مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع ، وأصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله ، وأن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، وأن الجوع عنده فى خزائن مدخرة ، ولا يعطى ـ الدين ـ إلا من أحب خاصة ، ولأن أدع من عشائى لقمة أحب إلى من أن آكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره .

* لولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا ، وما أحب البقاء فى الدنيا لتشقيق الأنهار ولغرس الأشجار .

* كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشؤوم .

* إنما عصى الله عز وجل من عصاه لهوانهم عليه ،ولو كرموا عليه لحجزهم عن معاصيه .

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

* وسأل أبو سليمان الدارانى تلميذه أحمد بن أبى الحوارى يوما :

ـ من أى وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء اليه؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

ـ لا أدرى

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

* ما ضرك ماغرك إذا أعقبك ما سرك .

* أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا .

* لو عرض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم .

* إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق ، وإذا شبعت ورويت عمى القلب .

* ما يسرنى أن لى من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه فى وجوه البر وأنى أغفل عن الله عز وجل طرفة عين .

* لو أن الدنيا كلها فى لقمة ثم جاءنى أخ لى لأحببت أن أضعها فى فيه ـ فى فمه ـ .

* إذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزحمها ، وإذا كانت الدنيا فى القلب لم تزحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة .

* من حسن ظنه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع .

* أرجو أن أكون قد رزقت من الرضا طرفا لو أدخلنى النار لكنت بذلك راضيا .

* يوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام : أسلب عبدى ما رزقته من لذة طاعتى فإن افتقدها فردها عليه ، وإن لم يفتقدها فلا تردها عليه أبدا .

* وقال أبو سليمان الدارانى فى مناجاته :

إنك إن طالبتنى بشرى طالبتك بكرمك ، وإن أخذتنى بذنوبى أتيتك بتوحيدك ، وإن أسكنتنى النار بين أعدائك لأخبرتهم بحبى لك .

* ما يسر العاقل أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفنى ، ينعم فيها حلالا لا يسأل عنه يوم القيامة وأنه حجب عن الله عز وجل ساعة واحدة فكيف بمن حبب أيام الدنيا وأيام الآخرة .

* لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى، كان ينبغى له أن يبكيه حتى يموت .

* ما عمل داود عليه السلام عملا قط كان أنفع له من خطيئته ، ما زال منها خائفا هاربا حتى لحق بربه عز وجل .

* لو اجتمع الخلق جميعا على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا على ذلك .

* من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ، ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ، ومن صدق فى ترك بشهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلبا بهوة تركت له .

* ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة .

* ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد ، ولا خير فى قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنسانا يجيئه يعطيه شيئا.

* إذا ذكرت الخطيئة لم أحب الموت وقلت : أبقى لعلى أتوب .

* إذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد ، وإذا لذ لك السجود فلا تركع ولا تقرأ ـ تقرأ القرآن ـ ، الزم الأمر الذى يفتح لك فيه .

* من كان يومه مثل أمسه فهو فى نقصان .

* من أتى مثل ما أوتى إبليس وقارون وبلعام ـ بلعام بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتاب الله وعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به استجاب ، وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٧٥] ، إلا أن أصل نياتهم غش فرجعوا إلى الغش الذى فى قلوبهم ، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق يسلبه إياه .

* سأل رجل أبا سليمان الدارانى :

ـ يا أبا سليمان ما تقرب به إليه ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى :

ـ مثلى يسأل عن هذا ؟ أقرب ما تقرب به إليه أن يطلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو .

* أفضل الأعمال خلاف هوى النفس .

openkandil.com